الخطاب الافتتاحي

الذي ألقاه أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٤/٠٨/٢٩

في حديقة المهدي بمناسبة الجلسة السنوية في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨) ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٤) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٨)

إن الإساءة الشنيعة التي صدرت ولا تزال تصدر ضد النبي ﷺ باستمرار لم تصدر ضد أي نبي آخر، فالدعاية السامة التي تصدر باستمرار ضد الإسلام والعداء الشرس ضد النبي ﷺ والإسلام منذ بدء الإسلام إلى اليوم لا نجد له نظيرا ضد أي دين ومقتداه ورسوله. والجهود التي تُبذل للإساءة الشنيعة إلى شخصه المبارك ﷺ -الذي كان وسيبقى للأبد رحمة وبركة متجسدة- وإلصاق التهم الباطلة به استنادا إلى الكذب والزور، لا نجد نظيرها ضد أي نبي آخر. فقد ألقيت عليه القمامة المادية أيضا في حياته، وأوذي بأنواع الطرق، إشباعا لنار حقد قلوب الأعداء، وألصقت التهم الباطلة بحضرته في حياته، وبأحبته بغية تنفير الناس منه، والحطّ من شأنه في نظر الناس. ثم إن الكتّاب إلى يومنا هذا يؤلفون ضده كتبا متراكمة لكي يسيئوا إلى حضرته ﷺ والشريعة التي جاء بها وأُمته أيضا.

فالعدو مشغول في الإساءة إلى حضرته ﷺ أحيانا وإلى تعليم الإسلام أحيانا أخرى منذ خمسة عشر قرنا ماضيا، ويوصف الإسلام بأنه دين الظلم والاعتداء وغصْبِ الحقوق والتطرف، وبذلك حاول هؤلاء

إيقاف تقدم الإسلام بحد زعمهم. لكن الإسلام رغم كل هذا وذاك ظل يتقدم ويزدهر بفضل الله بحسب وعده ﷻ. وهو لا يزال يقطع أشواط التقدم في العصر الحاضر أيضا رغم الدعاية المعارضة الشديدة لوسائل الإعلام والمعارضين. صحيح أن الأنبياء لقُوا المعارضة في حياتهم، لكنها انقطعت بعد مدة قصيرة من وفاتهم، كما تبدلت أديانهم إلى التقاليد والقصص والأساطير. فلم تبقَ شريعةُ أيٍّ منهم على حالتها الأصلية، وليس كتاب أيٍّ منهم موجودا اليوم في حالته الأصلية، ولم يعلن أي نبي بأن الله تعالى قد وعده بحفظ شريعته. وإنما النبي ﷺ وحده قد وعده الله بنفسه بحفظ الكتاب المنـــزَّل عليه وهو موجود في حالته الأصلية حتى بعد مضي خمسة عشر قرنا. فمعارضة النبي ﷺ بشدة متناهية وببذل قصارى الجهود حتى بعد مرور خمسة عشر قرنا، تثبت أن شريعته ستدوم. فالنبي ﷺ اليوم أيضا نبي حي كما كان قبل أربعة عشر قرنا، وأنه سيبقى نبيا حيا إلى يوم القيامة وأن شريعته ستبقى على حالتها الأصلية إلى يوم القيامة، لأن الله ﷻ قد تولى حفظها شخصيا. فعلى معارضي الإسلام أن ينظروا إلى حقيقة هذا التعليم بنظر الإنصاف بدلا من أن يتهموه والذات المبارك المقدس للنبي ﷺ. إذا كانت أعمال بعض فئات المسلمين تشوِّه تعليم الإسلام أو هم يتيحون الفرصة للمعارضين لرفع الإصبع ضد الإسلام، فهذا الأمر يثبت صدق القرآن الكريم والنبي ﷺ. ذلك لأن الله كان أنبأنا أن التردي الذي هو من لوازم الحياة الإنسانية سيؤثِّر في المسلمين أيضا بعد مدة وسيدوم لفترة طويلة. لكنه رغم ذلك ستبقى الشريعة التي جاء بها النبي ﷺ في صورة القرآن الكريم، محلَّ ثقة كما كانت وقت نزولها. ثم كان وعْد من الله أيضا أن في الزمن الأخير سيُبعث المحب المخلص والخادم البار للنبي ﷺ ليُلحق الآخرين بالأولين، وسيُظهر للعالم التعليم الجميل للقرآن الكريم في الصورة الحقيقية، وسيَعرض على العالم محاسن النبي المبارك ﷺ وإحساناته، والذي سوف يلجم كل معارض ومعاند وسيقيم الأدلة الصلبة أمام سيوف كل مهاجم ليثلمها ويجعله خائبا وخاسرا. ونحن نشهد على أننا رأينا ذلك المشهد قبل ١٢٥ عاما أن جريّ الله المبعوث من الله تصدَّى للهجمات على الإسلام والنبيِّ ﷺ بأدلة دامغة وبراهين ساطعة بحيث اضطر للهروب كل من برز له. واليوم أيضا إنما جماعة جريِّ الله ذلك هي التي تفند اعتراضات المعارضين وليس ذلك فحسب بل تنشر التعليم الجميل للإسلام في العالم.

إن شروح بعض المسلمين لتعاليم الإسلام وتفاسيرهم التي اختلقوها ليست دليلا على أن تعليم الإسلام والنبي ﷺ يتسم بالشدة والظلم. ففي كل أمة مُغرضون ومعجبون بالنفس وأنانيون يتمنون تحقّق مصالحهم الشخصية، أو الذين يتبعونهم، فهم يقومون بذلك جهلا ولقلة علمهم. فالتعليم الحقيقي كما

قلت تعليم الحسن والإحسان، الذي لإظهاره قد بعث الله ﷻ في هذا الزمن المحب المخلص للنبي ﷺ مسيحا موعودا ومهديا معهودا. فاليوم تسعى الجماعة الإسلامية الأحمدية لنشر صورة صحيحة للإسلام في العالم كله، نحن لا نستهدف الاستيلاء على الحكومات، وإنما هدفنا أن نجعل الناس عبادا حقيقيين لله بحسب التعليم الصحيح للإسلام، لا نستهدف نيل ثروات الدنيا وإنما نهدف مواساة الخلق وخدمةَ الإنسانية متأسين بأسوة النبي ﷺ، لا نهدف قتل الأبرياء والنساء والأطفال بتصرفات الظلم والاعتداء، أو خطفَهم، بل نهدف إلى إظهار تجليات الرحمانية بحسب تعليمه وأسوته الحسنة. وهذه الرحمانية لا تخص قوما معينا أو المسلمين، بل يشمل هذا الفيضُ كلَّ إنسان من سكان الأرض بل كل مخلوق أيضا. فالذين يعترضون على الإسلام ومؤسسه، دون تدبر وتأن، من واجب كل أحمدي أن يلجمهم بالأدلة وبسلوكه الشخصي. علينا أن نخبر العالم أنه لم يكن أحد من الناس على وجه الأرض قبل ولادة النبي ﷺ رحمة للعالمين ولن يكون في المستقبل أيضا. فالآيات التي تلوتها عليكم قبل قليل تضم تعليم الإسلام في الرحمة والرحمانية، وهذه الآيات تتضمن ذكر عمل النبي ﷺ الذي كان يصدر منه رحمةً بالإنسانية. فهذه الرحمة إذا كانت تخص الأقارب ففي الوقت نفسه هي تشمل الآخرين أيضا، وهذه الرحمانية ناشرة السلام في كل مكان، يقول الله ﷻ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ ثم قال لا يشق عليه تعرُّضكم لأي مشكلة فقط أو لا يصيبه الاضطراب بالتفكير في أن أعمالكم ستتسبب في تألُّمكم، وأنه باستنـــزال غضب الله ستدمرون دنياكم وعقباكم، فتألُّم هذا الرسول لا ينحصر في التفكر فقط، بل هو ﴿حريص عليكم﴾ أي أنه يريد الخير لكم، ويتمنى لكم العافية. فإذا كان يبلِّغكم رسالة الحب والسلام فليس لتحقيق هدفه الشخصي، وإنما بدافع مواساتكم فقط. وإنما يبلِّغكم هذا الرسول أيها الكفار والمنكرون، لتفهموا الأمن الحقيقي والسلام الحقيقي والرحمة بخضوعكم لملكوت الله. لأن الله رحمن.

فمع أنكم أيها الكفار أصبتم النبي ﷺ بأنواع الأذى، وسبّبتم له المشاكل، وحرمتموه من سبل العيش، ومارستم المظالم على أحبته، وقتلتموهم شهداءَ، حتى نسجتم المكايد لقتل النبي ﷺ نفسه، وفرضتم عليه الحروب، لكن هذا النبي الذي تجسد فيه الحبُ والأمن والسلام، يريد لكم الخير أيها الكفار مع كل هذا وذاك. فالحريص من يحصل على شيء بتحمل المشقة. فكان النبي ﷺ بالسعي لتعريض نفسه للهلاك وتحمُّل خسائره وصحابته في الأموال والأرواح، يتمنى شيئا واحدا، وهو أن يصيب هؤلاء المعارضين والأعداء خيرٌ بأي طريقة. كان قلبه ﷺ عامرا بحب الناس والشفقة عليهم بما ليس له نظير في العالم.

فبعد ذكر الكفار أولا ورد في أولى الآيات التي تلوتها عليكم ذكرُ المؤمنين أيضا، أي هذا النبي يرأف بالمؤمنين إثر ملاحظة مصابهم ويلتفت إليهم مرارا بالرحمة. فالرسول الذي يتحدث هؤلاء الظالمون عن قصص مظالمه للعالم وبذلك يحاولون إثارة النفور منه والكراهية له، يضطرب ليصل الخيرُ إلى الأغيار أيضا، وإثر ملاحظة مصاب المؤمنين به يبشرهم بنـــزول أفضال الله عليهم ممتلئا بعواطف الرحمة والعطف. فهل يوجد في العالم مثيل له؟ صحيح أن الناس يتعاملون مع أقاربهم حبا وشفقة ورحمة لكنهم لا يحرصون على الخير للأغيار والمعارضين، ولا يضطربون لمصابهم، ولا يَقُضُّون مضاجعهم ويسهرون لكي ينقذوهم من عذاب الله بمنعهم من الظلم. فهذا درس للمسلمين أيضا- سواء أكانوا حكاما أو من أحزاب مختلفة ويريدون أن ينفِّذوا إسلامهم المزعوم- ليبيّنوا جمال الإسلام بالحكمة والحب بدلا من الظلم ويعاملوا الناطقين بالشهادتين بالحسنى ويتوجّهوا إليهم بالرُّحْم مرة بعد أخرى. والمعلوم أن قتل الناطق بالشهادة عمدا يُدخل المرءَ في الجحيم كما يقول الله تعالى. فمن رأفة الرسول ورحمته الذي هو أكبر مظهر لرأفة الله ورحمته، أنّ الله تعالى لم يحرم الناس من الإنعامات المنوطة بالنبي ﷺ، بل أقام سلسلة تلك الرأفة والرحمة، وبإرساله المسيح الموعود عليه السلام دحض كل هجمة موجَّهة إلى الإسلام. إذًا، فقد أجرى الله تعالى هذا الفيض للمسلمين بإرساله المسيح الموعود عليه السلام، وبالإضافة إلى ذلك دحض جميع الاعتراضات الموجَّهة إلى الإسلام القائلة بأن الإسلام دين الإرهاب وعديم الرحمة. فكل من حاول أن يصم سيرة النبي ﷺ ويتهمه بالظلم والهمجية أفحمه المسيح الموعود في ضوء القرآن الكريم وأثبت أنه ﷺ كان رحمة متجسدة للأحباب والأغيار جميعا. الذين يدّعون اليوم أنهم يواسون الناس إنما يريدون الخير لأصحابهم وأقاربهم فقط لا للآخرين.

أليست هذه الأمور ملحوظة في الحرب الجارية في هذه الأيام بين المنظمة الفلسطينية "حماس" وإسرائيل؟ لقد استُشهد فيها آلاف الأطفال الفلسطينيين الأبرياء نتيجة القصف الإسرائيلي، و لم تتولد عاطفة المواساة عند أحد. لقد مات طفل إسرائيلي واحد قبل بضعة أيام بقذيفة "حماس" فأعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي بأننا سننتقم لذلك ولن نهدأ قط. نشكر الله على أن الأمور تسير الآن نحو الأفضل وندعو أن يستمر الحال على هذا المنوال. ولكن رئيس الوزراء الإسرائيلي قد أعلن على أية حال، أنهم لن يجلسوا هادئين بل سينتقمون. ومن المعلوم أنه لا حدود للثأر الذي يأخذونه. لا نقول أن قتل الطفل الإسرائيلي الذي مات بنيران حماس كان جائزا بل إن نبينا الأكرم ﷺ كان رحمة متجسدة فأمر أتباعه ألا يقتلوا في الحروب امرأة ولا طفلا ولا رجلا لم يشترك فيها، لأنه ظلم. إذًا، لقد وصف النبي ﷺ

والإسلامُ الظلمَ بأنه ظلم، أيا كان مرتكبه. ولكن ما أريد قوله هنا هو أن الذين يتهمون الإسلام لا يحاسبون أنفسهم. تُرتكب المظالم تلو المظالم ضد البشرية ولكن لا تقدر قوة من القوى العظمى أن ترفع صوتها ضدها، بينما يُري نبينا الحبيب تجليات الرحمة والحب في كل حدب وصوب. يقول المسيح الموعود عليه السلام حول هذا الموضوع: "فأشار الله في قوله: ﴿عَزِيزٌ﴾ وفي قوله: ﴿حَرِيصٌ﴾ إلى أنه ﷺ مظهرُ صفته الرحمن بفضله العظيم، لأنه رحمة للعالمين كلهم ولنوع الإنسان والحيوان وأهل الكفر والإيمان. ثم قال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، فجعله رحمانًا ورحيمًا".

فهذا هو تجلّي حسنه ﷺ وإحسانه ورحمانيته ورحيميته التي أراناه بكل وضوح وجلاء محبُه الصادق وإمام هذا العصر. وهذه هي الأسوة الحسنة التي ذكرها القرآن الكريم، وهذا هو التعليم لكل من ينسب نفسه إلى النبي ﷺ، وهو مأمور بالعمل به.

يقول المسيح الموعود في موضع آخر: "يعلمنا القرآن الكريم أن نحب الأبرار والأخيار ونشفق على الفاسقين والكفار، يقول الله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ ومعناه يا أيها الكفار، إن هذا النبي ﷺ شفيق لدرجة لا يتحمل أن يراكم في ألم، بل يتمنى أن تنجوا من هذه البلايا".

ثم يقول عليه السلام: "إن الإنسان يُعطى الجذب والعزيمة عندما يدخل رداء الله ويصبح ظل الله، عندها يجد بداخله اضطرابا لمواساة خلق الله وخيره. إن نبينا الأكرم ﷺ كان سباقا على جميع الأنبياء في هذا الموضوع لذا ما كان يحتمل أن يرى مشاكل الخلق، فيقول الله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ ... وهو حريص عليكم دائما لتنالوا منافع عظمى".

فهذه هي أسوة النبي ﷺ المقدسة والمباركة التي يحتاج إليها العالم المعاصر والتي تضمن أمن العالم وسلامه. ولم يقل الله أنه حريص على إزالة مصائب الأحباب والأغيار وطلب الخير لهم فقط بل ذكر عز وجل اضطرابه في هذا السبيل بقوله: ﴿لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾ أي أن قلبك مضطرب دائما على أن كفرهم بالله سوف يثير غضبه عليهم فيجعلهم مستحقين للعقاب. فهذا هو معيار مواساة الخلق واللطف بالبشرية عند نبينا ﷺ، وهذا هو سبب قلقه وألمه ورحمته، وهذه هي رسالته الحيوية التي تقرّب البشر إلى الله تعالى. ولكن الناس بإنكارهم هذه الرسالة وبظلمهم المؤمنين بالله يحرمون أنفسهم من رحمته عز وجل بل يجلبون العذاب على أنفسهم. كان النبي ﷺ يكنّ حماسا شديدا لهداية البشر لدرجة أنه كان يضطرب لهذا السبب. فقال الله تعالى نظرا إلى حالته هذه: لعلك باخع نفسك حزنا عليهم. من معاني "بخع" تمرير السكين على العنق حتى تصل إلى آخره. فيقول الله تعالى أنك بلغت من مواساة البشر

وفي عواطف الرحمة لهم وفي سبيل إنقاذهم من عذاب الله درجة كأنك تكاد تذبح نفسك. هناك كثير من الناس الذين يقدمون التضحيات لأحبائهم مضطربين ولكن النبي ﷺ ينفرد من حيث الميزة المذكورة آنفا، وكان من ميزاته الفريدة أن يدعو لأعدائه أيضا مضطربا. وإذا انتابه شعور بسيط أنهم سيواجهون عذاب الله تعالى بسبب تصرفاتهم دعا الله تعالى متضرعا: "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون". لقد خلا ألوف الأنبياء ولكن لم تظهر عاطفة الرحمة هذه لبني البشر من نوح ولا من إبراهيم ولا من موسى ولا من عيسى عليهم السلام. لم تكن عواطفه هذه مقتصرة على أتباعه ﷺ ومقرّبيه وكبار صحابته فقط بل كانت تمتد إلى هؤلاء الأشقياء أيضا الذين آذوه. فقد اشتملت عواطف الرحمة هذه عتبه وشيبة وأبا جهل أيضا. من المعلوم أن هؤلاء لم يدخّروا جهدا في إيذائه ﷺ. لقد أدمى أهل الطائف جسمه الشريف حتى سال الدم إلى قدميه، ولكن عندما أرسل الله إليه ﷺ ملاك العذاب قال: لا، فغلبت عاطفة رحمته على معاناته الشخصية، فكان ﷺ يمسح الدم من وجهه الكريم ويقول: يا ربّ إن قومي لا يعرفونني فاعف عنهم. هذه المظالم ظلت مستمرة في حياته ولكن عاطفته لنشر هذه الرسالة في إنحاء العالم ظلت تزداد بعد كل موجة من المعارضة، وكانت ناجمةً عن الرحمة الزاخر بها قلبُه. فكان يعلم جيدا أن بقاء الدنيا يكمن في الإيمان بالرسالة التي جاءت من الله تعالى. لقد حفظت أوراق التاريخ مواساته ﷺ وألمه من أجل العدو في معركة أُحد. فقد ورد أن الشهداء المسلمين كانوا يسقطون عليه ﷺ واحدا بعد الآخر، وكذلك جُرح بعض المسلمين واستُشهد بعضهم الآخرون الذين كانوا مكلّفون بحمايته. فظُنّ في ذلك الوقت أنه ﷺ انتقل إلى رفيقه الأعلى. ولكن عندما أُخرج جسده الشريف من تحت الجثث كان واعيا، ففي هذه الحالة أيضا دعا لقومه وقال: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. هل لأحد أن يُظهر المواساة في مثل هذه الظروف؟ هذه ميزة النبي ﷺ وحده ولكن العمهين مع ذلك لا يرون هذه الرحمة.

يُطلعنا التاريخ على حرقته ولوعته ﷺ لتبليغ الدعوة في أثناء سفر الطائف، وقد ورد أنه ﷺ توقف للاستراحة قليلا عند العودة في بستان زعيم من زعماء مكة وكان جسده الشريف يدمي. فحين رأى صاحب البستان حالة النبي ﷺ على هذا النحو تولدت في قلبه المواساة تجاهه، فطلب خادمه ليقتطف بعض العنب وقال له أن يعطيه وخادمه زيد بن حارثة الذي كان معه آنذاك. عندما جاء بالعنب إلى النبي ﷺ تبين في أثناء الحديث أن هذا الخادم أي خادم صاحب البستان كان مسيحيا من سكان نينوى، فقال له النبي ﷺ: أنت من وطن أخي يونس. فانتبه الخادم إلى هذا الكلام وتساءل في نفسه عن علاقته

بنينوى وهو عربي! ثم سأل الرسول ﷺ عن حاله والمعاملة التي تلقاها، فقال ﷺ: أنت من بلد يونس عليه السلام، وتعرف أن المرسَلين من الله تعالى يتلقون مثل هذه المعاملة دائما. ثم بلّغه النبي ﷺ دعوة الإسلام دون خوف ووجل، ولم يهتم بأنه جالس على أرض العدو وفي منطقته فيمكنه أن يصُبّ عليه مزيدا من الظلم، بل قال له بأنني لم ألحق بهم ضررًا، إنما أقول لهم أن يعبدوا الله وحده ويتركوا عبادة الأوثان لعل الله يرحمهم. تيقّن هذا العبد المسيحي بعد سماعه هذا القول أنه ﷺ من عند الله، فأصبح ينفض الغبار عن قدمي النبي ﷺ ويمسح عنه الدم ويقبّل يديه. كان سيّد هذا العبد يراقبه من بعد، فلما رجع إليه سأله مؤنّبًا: لِمَ فعلت ذلك؟ إذ لم أرسلْك إلا لإعطائه العنب. ولكن كان قلب هذا العبد قد آمن بالنبي ﷺ، ولقد أدت عاطفة حبه ﷺ لبني البشر ورحمته بهم – حتى في حالة معاناته – إلى ترسيخ حبه ﷺ في قلب هذا العبد، ولم يكن لأهل الدنيا أن يزيلوا هذا الحب.

هذه هي عاطفة الرحمة للنبي ﷺ بحيث بلّغ رسالة الله تعالى حيثما وجد فرصة وأيا كانت حالته. كان ﷺ يكنّ هذه العاطفة الجياشة العظيمة لبني البشر، ولا نرى مثل هذه اللوعة عند أي نبي آخر كما قلت سابقا. لقد ورد في متى الإصحاح ١٥ الفقرة ٢٤-٢٦ أن امرأة جاءت المسيح عليه السلام وقالت: :«يَا سَيِّدُ، أَعِنِّي!» وأعطني ما تعطيه لقومك، فقال لها ليس عندي لك شيء، إذ لم أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى بني إِسْرَائِيلَ، ولَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَب. أما رحمة النبي ﷺ فلم تكن محدودة. يأتيه شخص وهو يعاني ﷺ جراحًا دامية، وهذا الشخص لم يكن من قومه، ولكن عاطفة الرحمة لديه ﷺ تُنسيه أذاه، مع أنّ الإنسان في مثل هذه الحالة يهتم بنفسه عمومًا، ولكنه ﷺ يشرع في تبليغه دعوته، ويقدم له الخبز والغذاء الروحاني الذي لم يأت به لقومه فقط بل كانت تشمل عاطفة المواساة عنده جميع بني البشر، فكان يريد أن يفيد الأسود والأبيض والعربي والعجمي كلهم، وكل ذلك لقاء الغذاء المادي الذي جاء به هذا العبد ليستعيد به ﷺ قوته الجسدية، فأعطاه ﷺ على الفور غذاءً مفيدا دائمًا. هذا هو الفيض العام الذي أجراه ﷺ دومًا وأفاض به على الجميع. لقد صوّر المسيح الموعود عليه السلام مواساته ﷺ بالكلمات التالية: "جدير بالانتباه جيدا أن الأنبياء والرسل والمبعوثين من عند الله يكونون زاهدين في الدنيا من ناحية، ومن ناحية أخرى يكنّون مواساة للخلق لدرجة أنهم يخاطرون بحياتهم من أجلهم فيقول الله تعالى عن النبي ﷺ: (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ). ما أعظم مواساته ونصحه لهم حتى قال الله تعالى يجب ألا تقلق ولا تحزن على ألا يكونوا مؤمنين، لعلك تهلك نفسك من أجلهم. يتبين من ذلك كم كان النبي متقدما في مواساة الخلق. لا يوجد لهذه المواساة نظير في غيره، بل

لا توجد مواساة مثلها في الوالدين وبين الأقارب أيضا. (الحكم، مجلد٩، عدد ٣٨، ١٩٠٥/١٠/٣١م، ص٣)

ثم يقول حضرته عليه السلام: إن مجيء نبي يكون ضروريا وترافقه القوة القدسية، وفي قلبه حماس يجعله يضطرب دائما لمواساة الناس ونفعهم والنصح العام لهم. يقول الله تعالى عن رسول الله: (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ). ولهذا الكلام جانبان؛ الأول يتعلق بالكافرين بأنهم لماذا لا يؤمنون، والثاني يتعلق بالمؤمنين وهو أنه لماذا لا تتولد فيهم القوة الروحانية من الدرجة العليا التي هو حائز عليها. من المعلوم أن التقدم يحصل تدريجيا لذا فقد حصل في الصحابة أيضا تدريجيا ولكن قلوب الأنبياء تكون مجبولة على المواساة، أما نبينا الأكرم فقد كان جامعا لجميع الكمالات، وكانت هذه المواساة قد بلغت فيه مبلغ الكمال، فكان يرى الصحابة ويريد أن يبلغوا مرتبة التقدم الكامل. ولكن هذا العروج كان مقدرا في مدة معينة، فقد وجد الصحابة ما لم يجده العالم قط، وشهدوا ما لم يشهده أحد. (الحكم، مجلد٤، رقم١٤، عدد ١/٥/١٩٠٠م، ص٦)

فهذا هو المقام الرفيع البالغ منتهاه الذي ناله النبي ﷺ في الفيوض العامة وفي مواساة الخلق والرحمانية والرحيمية، والذي قد أتاح له أن ينال من الله تعالى الشهادة بأنه ﷺ يفيض مواساةً لبني البشر ورأفةً ورحمةً بهم. إنه لنبيٌّ يُلقي نفسه في المشقة من أجل أتباعه ومن أجل غيرهم الذين لم يقبلوه أيضا. وهناك أحداث كثيرة من سيرته تدل على أنه تحمل المشقة والأذى دون دعاء على أعدائه. ولقد ذُكرتْ في قوله تعالى: (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) شفقةُ النبي ﷺ ومحبتُه العديمة النظير، وقيل بأن هذا النبي يفيض بالشفقة على الخلق والمحبة بهم لدرجة أنه يهلك نفسه فيها؛ إنه يتجشم الظلم نهارا على يد بني البشر ثم يسهر الليالي ويضحي بنومه ويدعو لهم لتحسين دنياهم وعقباهم ناهيك أن يدعو عليهم. لم يكن ﷺ يهتم بأكله وشرابه، وكان شغله الشاغل هو أن ينجو العالم من غضب الله تعالى. كان يقوم بالعبادات المفيضة بالحرقة والآلام من أجل العالم حتى تتورم قدماه، وكان سجوده لله طويلا لدرجة ظنت بعض زوجاته أن روحه قد فارقته وحضرتْ إلى ربه. كان يريد أن ينشئ بنو البشر العلاقة مع الله ويشعروا بمثل هذه اللوعة والحرقة التي تحلى بها هو ﷺ، ويرتقوا إلى تلك المرتبة الروحانية بحيث ينبغي أن يبذلوا كل ما لديهم من أجل خير العالم فلا يبقى عندهم شيء يمتلكونه.

ثم رأى العالم أنه قد أقيم فوجٌ من الصحابة الذين كانوا يسهرون الليالي ويدعون لخير الدنيا، وكانوا هم الآخرون يكنّون اللوعة والحرقة نفسها لخدمة البشرية وخيرها وإنقاذها من بطش الله.

فكما قال المسيح الموعود عليه السلام إن هناك جانبين اثنين لقوله تعالى: (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ ...) أحدهما يتعلق بالكافرين أي أن يتم إصلاحهم، والثاني يتعلق بالمؤمنين وهو أن تتولد فيهم القوة الروحانية من الدرجة العليا. ثم كما أوضحتُ أن الصحابة قد بلغوا المقام الذي كان يريد النبي ﷺ أن يبلغوه.

ثم وعد الله تعالى النبي ﷺ بإرسال المسيح الموعود في الآخرين وذلك لكي يزيل به إلى يوم القيامة تلك الحرقة التي كان يكنها النبي ﷺ لبني نوع البشر ولكي تستمر سلسلة هذه المحبة والمواساة إلى الأبد دونما انقطاع، ولكي لا يخلو العالم من الذين يُرون الصورة الحقيقية للإسلام للذين يريدون تشويهه، ولكي يظل في الدنيا إلى يوم القيامة من يُرون بريقَ الأسوة الحقيقية للنبي ﷺ. كانت حرقته ﷺ التي يكنّها من أجل بني البشر – والتي أظهرها بأعماله في حياته، ثم نفخ روح هذا العمل في صحابته الذين أحيوا لياليهم بالدعوات من أجل البشرية والمواساة لها، ثم وعد الله تعالى النبي ﷺ بإرسال المسيح الموعود لتُزال إلى يوم القيامة همومُه ﷺ المتعلقة بإيصال الخير للبشرية – كل ذلك لأن الله تعالى قد أرسله ﷺ رحمة للعالمين. قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} (الأنبياء: ١٠٨)، أي لقد جبله الله على الرحمة، فكان جسده وروحه رحمة متجسدة. فإذا كانت هذه هي مكانتها العظيمة فلا بد أن يكنّ مثل تلك الحرقة من أجل بني البشر.

إذا كانت رحمانية الله تعالى يمكن أن تحل في أحد فإن أقرب مثال لصفة الله الرحمانية كان متجليا في ذات النبي ﷺ، كانت رحمانية الله تعالى متجلية فيه ﷺ. فكان جامعًا لرحمانية الله تعالى التي تشمل جميع أنواع الرحمة، والتي تشمل جميع الأقوام وتحيط بجميع الأزمان. كان النبي ﷺ رحمة متجسدة لأتباعه ولأعدائه أيضا. لما تعرض النبي ﷺ لجروح بليغة وظن بعض صحابته نظرًا إلى الهجمات القوية أنه يستحيل أن يكون على قيد الحياة، إلا أنه لما استعاد وعيه أخذ يدعو للأعداء حتى يزول عنهم غضب الله تعالى. فأين نجد مثالا لهذه الرحمة؟ إن العرب الجهلة الذين كانوا يخضعون للثوائر النفسية على أتفه الأمور فيهبون للقتل والدمار، وكانوا يقتلون الناس باسم الحميَّة وكانت هذه السلسلة تستمر طويلا، قد أوصلهم النبي ﷺ بسبب رحمته تلك مرتبةً صاروا فيها رحماء بينهم ومضحّين للآخرين، بل علّمهم أخلاقًا عُليا للتعامل مع العدو أيضا بحيث لا يُرى مثلها في العالم المتحضر والمثقف المزعوم اليوم.

وكما أخبرتكم أن النبي ﷺ قد منع بشدة إلحاق الأذى بالأبرياء والمرضى والنساء والأطفال. لقد حدث في إحدى الغزوات أن قُتل طفل خطأً على يد مسلم، فأظهر النبي ﷺ أسفه الشديد على ذلك.

قال الذي قُتل الطفل بيده إنه كان طفلا يهوديا أو لم يكن مسلما. قال ﷺ ألم يكن طفلا بريئا؟ لقد ارتكبتَ ظلمًا عظيمًا بقتله. هذه هي الأسوة الرائعة الجميلة التي يدّعي العمل بها جميع المسلمين المزعومين والمنظمات التي تقتل المسلمين وغيرهم باسم الدين ولا يلتزمون بها. وهذه الأسوة صفعةٌ في وجوه هؤلاء الذين يعترضون عليه ﷺ بأنه علّم الإرهاب أو العنف. فهل يستحق هؤلاء – بأعمالهم هذه التي يدأبون عليها – أن يُنسَبوا إلى مَن هو رحمة للعالمين؟ أو هل يستحق من يؤيدونهم – حتى لو لم يشتركوا معهم في هذا القتل – أن يُنسبوا إلى مَن هو رحمة للعالمين؟ هذا الأمر يدعو إلى التفكير.

والقرآن الكريم – الذي هو هُدًى لجميع الأزمان ولجميع الأقوام أيضا – آيةٌ لرحمانيته ﷺ. يعترض عليه المعترضون كثيرا ولكن إذا كان القرآن ذكرَ العقوبة عند الحاجة إليها فإنه بَشَّرَ بسعة رحمة الله أيضا. هناك أمر بالقتال ردّا على العدوان وعلى الحرب التي تشنّ ضد المسلمين من قبل أعدائهم، ولكن ليس هناك أمر بالبدء بالقتال وشن الهجمات، بل إذا اعتدى عليكم أحد بالحرب فقاتِلوه ردًّا عليه. ومع هذا السماح بالقتال ذُكرتْ بعض الأصول والقواعد، حيث قُدّم فيها الضمان للمحافظة على حياة الأطفال والرهبان والأبرياء الذين ليست لهم علاقة مباشرة مع الحرب. ثم إذا كان هناك أسرى حرب فهناك أمر بمراعاة حالتهم وإطلاق سراحهم قدر المستطاع. إن رحمته ﷺ تشمل الخلق كله. إن رحمته واسعة للأغيار أيضا وتهدف إلى خيرهم كما تهدف إلى خير أتباعه ﷺ. وآية رحمته ﷺ أن الله تعالى قدر أن يبعث في هذا الزمن خادمَه الصادق لإخبار العالم عن حقيقة رحمتِه ونشرها. كيف أرانا المسيح الموعود عليه السلام جمالَ النبي ﷺ؟ يقول عنه المسيح الموعود عليه السلام وهو يوضح معنى (وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين): "أي لم نُرسلك رحمة لقوم معين بل رحمة للعالمين كلهم. فكما أن الله تعالى رب العالمين كذلك النبي ﷺ هو رحمة للعالمين وإن مواساته تشمل العالمين كلهم وليست خاصة بقوم دون قوم." (محاضرة ينبوع المعرفة، ص١٦).

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام: "قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} (الأنبياء:١٠٨)، ولا يستقيم هذا المعنى إلا في الرحمانية، فإن الرحيمية يختص بعالمٍ واحدٍ من المؤمنين."

ثم يقول عليه السلام: "ليكن معلوما أن كلام كل شخص يكون بقدر همته وعزيمته، فبقدر ما تكون العزيمة والأهداف سامية يحتل كلام صاحبها المرتبة نفسها. تلاحَظ الصفة نفسها في الوحي الإلهي أيضا أي بقدر ما يملك الموحى إليه عزيمة عالية سينـــزل عليه الكلام بالمرتبة نفسها. ولما كانت دائرة قوة النبي

ﷺ وعزيمته واسعة جدا فإن المهمة التي كُلِّف بها إنما هي ذات درجة ومرتبة من القوة والعزيمة لا يملكها غيره، لأن دعوته لم تكن لزمن محدد أو قوم معين مثل الأنبياء الذين سبقوه، لذا قيل في حقه: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا)، وقيل أيضا: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ). وأنّى لأحد أن يبارز مَن كانت دائرة بعثته ورسالته واسعة إلى هذا الحد؟" (الحكم، مجلد٧، رقم٢٠، عدد ٣١/ ١٩٠٣/٥م، ص٢) ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام: " كان النبي ﷺ هو المظهر الكامل لصفات الله الأربع التي ذُكرت في سورة الفاتحة. الصفة الأولى هي: "رب العالمين". فكان النبي ﷺ مظهرا لهذه الصفة أيضا إذ قال الله تعالى بنفسه: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ). فكما أن صفة "رب العالمين" تقتضي ربوبية العالم كله كذلك كانت فيوض النبي ﷺ وبركاته وهديه وتبليغه للدنيا والعوالم كلها. والصفة الثانية هي "الرحمن"، فكان النبي ﷺ مظهرا كاملا لهذه الصفة أيضا لأنه ليس لفيوضه وبركاته بَدَلٌ ولا مقابل، (مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ). ثم كان ﷺ مظهرا للرحيمية أيضا. إن المجاهدات التي قام بها ﷺ وأصحابه وما تكبّدوا من المشاق في سبيل هذه الخدمات ما ضاعت قط بل أُجروا عليها. وقد أُطلقت كلمة "الرحيم" على النبي ﷺ في القرآن الكريم. ثم كان ﷺ مظهرَ مالكية يوم الدين أيضا وقد تجلّت هذه الصفة فيه بوجه كامل يوم فتح مكة. لم تتجل صفات الله الأربع هذه بهذا الكمال في أي نبي آخر." (الحكم، ١٩٠٣/٨/١٠م، ص٢٠)

فكما قلت سابقًا إنه من فيض رحمة النبي ﷺ أن الله تعالى بعث خادمًا صادقًا له في هذا العصر لنشر التعاليم الحقيقية للإسلام، فقد جاء عليه السلام وأوضح لنا هذه التعاليم الحقيقية التي تتضح من هذه المقتبسات التي قرأتها عليكم آنفا حيث وضّح بروعة متناهية كون النبي ﷺ رحمةً للمؤمنين وغير المؤمنين. إن الله الذي هو رب العالمين قد جعل النبيَّ ﷺ رحمة للعالمين، فكما أنه لا يخرج أحد من ربوبية الله تعالى كذلك لا يخرج أحد في العالم من نطاق فيوض النبي ﷺ وبركاته.

ثم هناك صفة الله الرحمن، ويقول النبي ﷺ بأنني أوزّع رحمة الله تعالى بلا أي أجر، سواءً قبِلني أحدٌ أم لم يقبل، فإن هذه الرحمة تشمل الجميع. أما الرحيمية فيتلقاها المرء ببذل الجهد، ومن يبذل جهدًا في عمل ما ينال ثمرته. وعليه فقد استفاض الصحابة من النبي ﷺ هذه الفيوض الروحانية فتحولوا من البداوة والجهالة إلى متحضرين ذوي أخلاق عالية، ثم أصبحوا عارفين بالله وأكلوا ثمار جهودهم الروحانية والمادية معًا. إضافة إلى ذلك فإن الله تعالى مالك يوم الدين أيضا، ولقد رأى العالم تجلي هذه الصفة في حياة النبي ﷺ يوم فتح مكة حيث قال لعطاشى دماء المسلمين: لا تثريب عليكم اليوم، أي لن تُلاموا

اليوم، فإن اليوم هو يوم الرحمة. إن رحمته وعفوه قد قضت على جميع أنواع العداوة لدرجة أن الأعداء الألداء الذين قد هربوا من مكة والذين سبق لهم أن أوصلوا العداوة منتهاها وبالتالي كانوا يرون استحالة العفو عنهم، ولكنهم لما أُخبروا أن النبي ﷺ رحمة وشفقة متجسدة وبالتالي لن يواجه أحد أي نوع من القسوة، لم يصدّقوا ذلك. وكان من بين هؤلاء الهاربين عكرمة الذي طلبت زوجته من النبي ﷺ العفو عنه، فعفا عنه النبي ﷺ. فلحقت به زوجته وقالت له لا داعي للهروب إلى أي مكان. أين تتجه تاركًا مثل هذا الشخص الرحيم والنبيل؟ سألها عكرمة: هل يُعفى عني رغم العداواة كلها؟ قالت زوجته: نعم سيُعفى عنك أيضا. لم يُكره النبي ﷺ أحدًا على الإسلام بل قال لهم بأنهم يستطيعون العيش في مكة وهم على دينهم يتمتعون بالحرية الدينية، ولكن بشرط أن يلتزموا بالقوانين. فلم يصدر منه إلا الرحمة في كل الأحوال. هذا هو الرسول الذي كان رحمة وشفقة ورأفة لبني البشر كلهم في جميع الظروف والأحوال، ويتهم المتهمون مثل هذا الرسول العظيم بأنه أعطى تعليم الإرهاب، والعياذ بالله! وهناك حاجة ماسة للمنتسبين إلى هذه الرحمة المتجسدة أن يحاسبوا أنفسَهم وليتفقدوا إن كانوا يتحلون بهذه الأسوة؟ وهل يرونها في أنفسهم؟ إذا كانت الإجابة بلا فليفكروا في الأمر لأنهم بتصرفهم هذا قد جعلوا روح هذه الرحمة المتجسدة تضطرب.

فيا من تدخلون في جماعة المسيح المحمدي، اعلموا أنه من واجبنا اليوم أن ننشر هذه الشفقة والرحمة والرأفة في العالم كله ونخبر الدنيا بأسرها أن الذي تحسبونه عدوّا لكم فإنه مواسٍ وناصح لكم، وإن بقاء العالم منوط بدخوله في كنفه ﷺ. إن حل جميع قضايا المسلمين أيضا كامنٌ في اتباعهم لرحمة للعالمين ﷺ، كما أنه ﷺ يكفل الأمن والأمان لغير المسلمين أيضا. ندعو الله تعالى أن يتعقل العالم ويفهم هذه الأمور. وفقنا الله تعالى لأداء واجباتنا تجاه العالم وأن نرى بأم أعيننا نشوء هذا الشعور في العالم بأن النبي ﷺ رحمة للعالمين، وسبيل النجاة كامن في اتباعه.

والآن سنقوم بالدعاء، فادعوا الله تعالى أن يجعل هذه الجلسة مباركة من جميع النواحي، وادعوا أن يوفقنا الله تعالى لتحقيق الهدف الذي من أجله أجرى المسيح الموعود عليه السلام هذا النظام، وأن نسعى لخلق تلك الحالة التي لا بد منها للمؤمن والتي تجعله أهلا لنيل رضاه، وأن نعمم في هذه الجلسة الحب والوئام ونجعله جزءًا من حياتنا فيما بعد أيضا. وادعوا الله أن يسهل على الأحمديين حيثما يتعرضون للشدة والاضطهاد. تنعقد الجلسة السنوية في كل جماعة تقريبا بشكل أو بآخر، ولكن الأحمديين في باكستان محرومون من هذا الحق منذ ٣٠ سنة، بدّل الله أحوالهم وأنهى عصر الظلم والاستبداد هناك، وهيأ أسبابًا

لإزالة هؤلاء الظالمين – إن لم يكن قد قدّر إصلاحهم – الذين يظلمون باسم الله ورسوله. وأن يدرك المدّعون بكونهم مسلمين حقيقةَ مَن هو رحمة للعالمين. ادعوا الله تعالى للمسلمين في فلسطين أن يحفظهم الله تعالى وينجيهم من كل ظلم وينقذهم من كل اعتداء. ينبغي أن تعرف إسرائيل نظرًا إلى تاريخها أن حكم الظلم لا يدوم طويلا، إنّ بقاءهم أيضا يكمن في دخولهم في عباد الله الصالحين، والسبيل الوحيد اليوم لتحقيق هذا الأمر هو الإيمان بالمسيح المحمدي. وفّق الله تعالى المسلمين أيضا للتأسي بأسوة النبي ﷺ ولنشر الرحمة والمحبة بين الناس، وادعوا الله تعالى أن يجتمع مسلمو العالم على دين واحد بإيمانهم بالمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام. ندعو الله تعالى أن يوفقنا لرؤية هذا المشهد في حياتنا، آمين. لندع معًا الآن.

۞۞۞۞۞